# كتاب الكرماء

تأليف

أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

لمفسر الفاظه ومصححه

محمود الجبالي

بسكرتارية مجلس النظار



طبع بمطبعة الشورى بالفجالة سنة ١٣٢٦ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الذي وهب للعرب أفصح اللغى والصلاة والسلام على أنبيائه الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا محمد الناطق بالهدى (أما بعد) فقد طوعت لي نفسي النظر فيما دونه أئمة اللغة العربية وأساطينها في كتبهم عن معنى الكرم وما يدخل في بابه فوالله لنزلت منهم بين المعرة(١) والمجرة وبين ثاقب اللؤلؤة وخازن الدرة، ورجعت وقد امتلأت مزادتي الخالية من الجواهر الغالية، فمن قائل ان الكرم اذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر منه ذلك، والكريم أيضاً الذي كرم نفسه عن الدنس بشيء من مخالفة ربه، ومن قائل أنه الرقيق الطبع والحسن الاخلاق والواسع الصدر، والكريم أيضاً النفيس من كل شيء، الخ * ليعلم القارى، ان الكرم ليس هو العطاء فقط بل هو أصل لكثير من الاخلاق الفاضلة التي تتفرع منه وتسقى من معينه

---

(١) وادين عظيمين

وما كنت أحسب أن يقوم في الزمن الغابر واحد من الكرام الكاتبين كابي هلال فيضع مصنفا مستقلا في خلق واحد من اخلاق العرب الفاضلة ألا وهو الكرم، الذي سالت به أودية المحامد وخفقت به ألوية العظمة والجلال، حتى عثرت على هذا المصنف لأبى هلال عند شيخي الاستاذ المرحوم محمد محمود الشنقيطي فاستأذنته في طبعه . وتعميم فائدته. فأذن لي بعد قراءته عليه وقد كان، الا أنه حالت دون ظهوره في تلك المدة حوائل منعت من ذلك

غير أني كثيرا ما قرأت في كتب الادب تفا من نوادر الكرام وملحا مستظرفة فيما يأتونه من التفنن في ضروب المنح والاعطية. وقد قام بعض الناس بجمع طائفة مختلفة من نوادرهم في عصور مختلفة بدون أن يحكموا بينهم حكما، أو ينظروا فيما جمعوه نظرة دقيقة يتمكنون بها من إيراد ما يقبله العقل وتأنس به النفس لا ما ينفر منه الطبع من الغلو الذي يراه الناظر في كثير من النوادر والروايات التي تحملها صدور كتبهم المتداولة

الا أن أبا هلال حكم في مصنفه هذا حكما دقيقاً بين أجواد العرب الذين كانوا يجودون بمالهم ويؤثرون على أنفسهم و بين ما كان يصنعه البرامكة على بعد صيتهم في المجد من ضروب المنافسة في الهبات

وهو حكم لا غبار عليه يلمحه المتتبع لعبارته في هذا الكتاب وانه لما يدل دلالة واضحة على بعد نظره وقوة فكره، وان أبا هلال غني عن التعريف لما له من حسن الاختيار في جمع مسائل العرب من نثير ونظيم، ولما في مقدوره من تذليل صعاب معانيها، وتعزيز كلمة الشعر فيها، واستتباعه كل شاردة منها، وأن روحه كثيرا ما تتجلى في مؤلفاته، فهي أشبه بالشذا في الزهر، وناهيك برجل يخرج عليك بعلمه، وتكلمك الحكمة من عنده، وتتحاسد معانيه كالضرائر في أساليب عباراته وخلال سطوره

ولما كان في طبعي الميل الى استطلاع آثار السلف الصالح واستكشاف مادونوه من الادب الجم، لعلمي بأنهم طلبوا العلم حبا فيه وشغفا به، فلا تخلو مؤلفاتهم من روائع الحكم وجوامع الكلم، فقد اهتديت لبعض من كتبهم المفيدة سأجتهد في تعميم فائدتها كلما سمح الوقت، وكان في العمر بقية، وهو سبيل سرت فيه بعيداً مما يهب بيننا من أعاصير الروايات الغرامية التي يدور الكلام فيها غالبا على عاشق ومعشوقة وعذول وهو وهمٌ حياته بحياة الادباء وسلطانه بقوتهم وحماية يضته باسنة أقلامهم

(١) كل معنى بين الهوى فهو كذب　　وحياة الهوى بكذب الاديب

وبعيدا من الكتب التي يقضي أصحابها الليالي الطوال في جمعها من متفرقات الكتب وبها من الادلة والشواهد على سوء الاختيار مما يذهب غالبا بوجوه الحسن منها (٢)

فهي كالزئبق الذي يبهر العين رواء وبهجة وهو سم

على انه اذا كان الادب العربي متداولا من جيل لجيل ومن عصر لعصر بين ابنائه وحماة صرحه، الا ان ذلك لم يمنع كثيرا ممن نبغوا فيه من السلف ان يتركوا الرقي العملي في التأليف جانبا ويبلغوا شأوا لا يصعد اليه من الرقي الفكري. وجدير بنا ونحن في عصر توفرت فيه معدات الطباعة وظهرت فيه العلوم وعليها مسحة من جمال الطبع واحكام الوضع، وبلغت فيه العقول مبلغا راقيا في كل فن، ان نفحص ماوضعه السلف لنستخرج منه مايمتزج باجزاء حالتنا العلمية الادبية بدلا من أن يرمى اللسان العربي بما هو منه براء

وانه من العار الذي يطول الاسف به ولا يجمل التقصير فيه حرمان مصر وهي الزمردة الخضراء واللؤلؤة الفريدة العصماء في تاج الممالك من مجمع علمي عربي وآخر لغوي يعملان على ظهور ما

---

(١) لصاحب المقدمة (٢) لصاحب المقدمة

تمخض به القرائح من زبد المسائل، ويشيدان صروحا تأوى اليها طلاب الحقائق وعشاقها حبا في التربية الكاملة، لان التربية الناقصة شر من الجهل الكامل، وبدلا من أن الانسان اذا طلب الحقيقة من وراء هذه الثورة الفكرية كان كمن مديده وهو على الشاطئ، لاستخراج اللؤلؤة من قاع البحر، وماذلك على أغنيائنا بعزيز لو تعلموا كيف يبثون النوال ويسدون ثغر الحوائج بفضلات الاموال، لان الكرم جميل واجمل منه الذكر الحسن، فمن أراد ان لاتطوى صحيفة من الاعمال الجليلة الا وفيها اسمه فليفعل

تبارك الذي ان شاء جعل لنا من لغتنا خيرا . وللفكر في بيان مايعلى شأنها هدى . وللسان فيما يريده غنما. وللقلم بما سكن اليه مذلا . لينفح الزهر في كمه ويهتدي الرضيع الى ثدي أمه حتى يتخذ مثل هذا الكتاب طريقة بيننا ان شاء الله

محمود الجبالي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتب الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل الاديب الى بعض الرؤساء . جعل الله السيد في حيز السلامة وجلله(١) الشكر كما آتاه من الفضل . ماتدانى دونه شأو الوصف والذكر . ووفر الفواضل(٢) عليه كما فيض الفضائل له . ولا أزالَ عن الكرم ظله . ولا أزل عن الشرف رجله . وابقاه بقاء مذيلا بالتمام . مطرزا بالاكرام مارسى ثبير (٣) واختلف ابنا سمير (٤) انه حميد مجيد فعال لما يريد الجود أيد الله السيد اذا كان عن يسار وجدة(٥) وأثراء ومنعة (٦) واجب لايسع الاخلال به . ولا يجمل التقصير فيه . والشاهد ان المرء اذا أمسك مع الكثرة، وبخل مع الثروة، تناوله اللؤم من كل

(١) عمه (٢) النعم الجسيمة (٣) اسم جبل (٤) الليل والنهار (٥) الغنى وكثرة المال (٦) العز

وجه وانتزع اليه الذم من كل جانب . فهو المدفوع الى السماحة . والمحمول على الانالة . ليبعد من اللؤم . وينزه عن الذم . وليس يَدُلّ بَذْلُهُ وان جَزِلَ . وبِرُّهُ وان كمل . على كرم أصلي . وسماح عنصري . كما يدل عليه جهد المقل . ومواساة المخل . ومن لم يعط من اليسير . لم يعط من الكثير وقد قلت

من لم يواسك في قليل　　　لم يواسك في كثير

والحق يلزم في الكثير　　　وليس يسقط في اليسير

وقال الاول

ليس جود الجواد من فضل مال　　　انما الجود للمُقِلّ المواسي

والعرب تقول اعط أخاك من عقنقل الضب . وعقنقل الضب مصرانه أي انك ان لم تملك الا معاضب فلا تبخل به على أخيك ، واجعل له منه قسماً وصير له فيه سهماً ويقولون أخوك من آساك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اتقوا النار ولو بشق تمرة . وأخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد عن الجوهري عن المنقري عن الاصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من

رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة ( ١ ) استتماما لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخارا لثمرتها، حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة،كانت قطعة من سني يوسف عليه السلام اشتد علينا كلبها (٢)، واخلفتنا (٣) غيومها، وكذبتنا (٤) بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فانتجعتك (٥) وأنا بانتجاعي اياك شديد الشفقة عليك مع علمي بانك نعم موضع الرائد ( ٦ ) واعلم أن الكريم اذا استحى من اعطاء القليل . ولم يحضره الكثير . لم يعرف جوده ولم تظهر نعمته وانا أقول في ذلك

ظل اليسار على العباس ممدود — وقلبه أبدا بالبخل معقود
ان الكريم ليخفي عنك عسرته — حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل — زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم — تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته — فكل ماسد فقرا فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى بعث اليه بقيمة نصف خاتمه وفرد نعله.

---

(١) طلب الكلاء فى موضعه (٢) أذاها وشرها (٣) (٤) من الكذب ضد الصدق ويستعمل فى غير الانسان فيقال كذب البرق .
(٥) طلبت معروفك (٦) الدليل

ومامدحت العرب ولا تمدحت بمثل الاعطاء على العسر . والمواساة على القلة وذلك ان أكثرهم كان في شدة واضاقة فلو جعلوا ذلك حجة وقبضوا أيديهم عن صلة الغريب . وبر البعيد لارتفعت العوارف (١) مما بينهم . وغاض (٢) الجود فيهم . وانشد عبدالملك بن مروان قول عروة بن الورد

أتهزأ مني ان سمنت وان ترى
بجسمي جهد (٣) الحق والحق جاهد

وأني امرء عافي أنائي شركة	وانت امرء عافي اناءك واحد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة	وأحسوا قراح الماء والماء بارد

فقال ماكنت أشتهي ان يلدني أحد من العرب الا هذا. وقد أحسن عتيبة بن بجير الحارثي من بني الحارث بن كعب فى قوله

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
الى كل صوت فهو في الرحل (٤) جانح

فقلت لاهلي ما بغام (٥) مطية	وسار اضافته الكلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طوحت به	متون الفيافي والخطوب الطوائح

---

(١) جمع معروف (٢) نقص (٣) الطاقة (٤) المنزل (٥) صوت المطية

فقمت ولم أجثم مكاني ولم تقم

مع النفس علات (١) النفوس الشحائح

ونادیت شبلا فاستجاب وربما ضمنا قرى عشر لمن لانصافح

فقام أبو ضيف كريم كأنه وقدجد من فرط الفكاهة مازح

الى جذم(٢) مال قد نهكنا (٣) سوامه (٤)

واعراضنا فيه بواق صحائح

جعلناه دون الذم حتى كأنه اذا عد مال المكثرين منائح

لنا حمد ارباب المئين ومايرى الى بيتنا مال مع الليل رائح

وأخذ هذا المعنى اسحاق ابن ابراهيم الموصلي فقال

عطائى عطاء المكثرين تكرما ومالي كما قد تعلمين قليل

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسن بن يحيي قال سمعت اسحاق يقول أنشدت الرشيد شعرا فلما بلغت الى قولي

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المومنين جميل

قال لا كيف . لله درابيات تجيء بها ما أحكم أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها فقلت هذا الكلام والله أحسن من شعري والابيات هي هذه

(١) الحالات المختلفة (٢) أصل الشيء (٣) افنينا (٤) الابل الراعية

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك أمر ما اليه سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري باهله ... فاكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته ... اذا نال شيئاً ان يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تكرما ... ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميل

ومن عجيب ما يروى فى هذا الباب ان الفرزدق دخل على يزيد بن المهلب وهو يعذب في سجن الحجاج فأنشده

أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم ... وقال ذووا الحاجات أين يزيد
فلا قطرت بالمرو بعدك قطرة
ولا اخضر بالمرويين (١) بعدك عود
فما لعزيز بعد عزك بهجة ... وما لجواد بعد جودك جود

وكان يزيد قد اعد مالا يصانع (٢) به الحجاج ليقصر من تعذيبه، فقال لغلمانه ادفعوا اليه المال ودعوا الحجاج يقطعه كيف يريد. وأعجب من هذا ان عمر بن عبيد الله بن معمر مر بزنجي

---

(١) بلدان بخراسان يقال لاحدهما مرو الشاهجان وللآخر مرورروزان عنكبوت (٢) يرشيه به

يأكل عند حائط وبين يديه كلب اذا أكل لقمة طرح له لقمة فقال له اهذا الكلب كلبك قال لا قال فلم تطعمه مثل ما تأكل قال اني أستحي من ذي عينين ينظر الي ان استبد بمأكول دونه . قال أحر أنت أم عبد قال عبد لبعض بني عاصم فاتى عمر ناديهم فاشتراه واشترى الحائط ثم جاءه فقال أشعرت ان الله قد اعتقك قال الحمد لله وحده ولمن اعتقني بعده قال وهذا الحائط لك قال اشهدك انه وقف على فقراء المدينة قال ويحك تفعل هذا مع حاجتك قال اني استحي من الله ان يجود لي بشيء فابخل به عليه والعرب تقول اتاك ريان بلبنة معناه يعطي لغير كرم ولكن لكثرة ماعنده ونحوه وان لم يكن منه قول ابراهيم بن العباس شعر

لا تمدحن ابن سهل ان وجدت له　　فعلا جميلا ولا تعذل اذ ارزما(١)
فليس يمنع ابقاء على نشب　　وليس يعطي الذي يعطيه معتزما
لكنها خطرات من وساوسه　　يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وقال اشجع السلمى يمدح جعفر بن يحيي البرمكى باعطاء الكثير على الاقلال

يروم الملوك مدى جعفر　　ولا يصنعون كما يصنع

---

( ١ ) اذا لم يف بما وعد من الخير

وكيف ينالون غاياته ... وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ... ولكن معروفه أوسع

وليس للمعطي أن يمنع القليل استحياء من قلته لأن المنع أقل منه ولا للمعطي أن يتسخطه فرب قليل سد خلة كبيرة وجبر فاقة عظيمة. وربما يبلغ به الى كثير ولولا ذلك لم يكن للوصول اليه سبيل وكتب ابن المعتز لا تستقل شيئا من زيادة الله اياك فتنفر نفيسها عنك وقليل تترق منه الى كثير خير من كثير تنحط منه الى قليل. وقال ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب عنه

رأيت المطل ميدانا طويلا ... يروض «١» طباعه فيه البخيل
فما هذا المطال فدتك نفسي ... وباعك بالندى باع طويل
أظنك حين تقدر لي نوالا ... يقل لديك لي منه الجزيل
ويعوزك الذي ترضى لمثلي ... وان لم يعوز الرأي الجميل
وفيما بين مطلك واختلالي ... يموت بدائه الرجل الهزيل
فلا تقدر بقدرك لي نوالا ... ولا قدري فتحقر ما تنيل
واطلق ما تهم به عساه ... كفاني أيها الرجل النبيل
والا فالسلام عليك مني ... نبت دار فاسرع بي رحيل

---

(١) أي يذللها ويجعلها مسخرة مطيعة

اذا ضاقت على أمل بلاد فما سدت على عزم سبيل

وتقول العرب ان الرثيئة مما تفثأ الغضب يجعلونه مثلا لحسن موقع المعروف وان كان قليلا . وأصله ان رجلا غضب على قوم فأتاهم ليوقع بهم فسقوه رثيئة فسكن غضبه فكف عنهم، والرثيئة لبن حامض يصب عليه حليب. وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن زكريا عن الاصمعي قال ذكر اعرابي رجلا، فقال: ما رأيت رجلا أعشق للمعروف منه ولا رأيت الزرق ابغض (١) احدا بغضه. ومما يجري مع هذا ما أخبرنا به أبو احمد عن الجلودي عن احمد بن الفضل عن عبد الوهاب عن ابراهيم ابن عبد الاعلى عن الحسين بن فهم عن عمه قال اشتهى صديق لي فروجا اطبخه له فأكلت الجارية اللحم كله الا لحم الصدر ونحن لانعلم فكتبت اليه

طبخنا لك فروجا فطاف الاهل بالقدر
ولم نقدر على المنع لقبح المنع في الذكر
فآثرناك بالصدر لان الصدر للصدر

وهذا مثل ما تقدم من قولنا ان اعطاء القليل خير من المنع لان المنع أقل منه. ومثل ذلك ان رجلا اتخذ دعوة فجاءته الهدايا من كل

---

(١) مقت

وجه وكان من اصدقائه رجل مملق (١) فوجه اليه بجراب اشنان (٢) وجراب ملح وكتب اليه . لو تمت الارادة بحسب النية وملكتني القدرة ببسط الجدة لبدرت (٣) السابقين الى برك ولكنت امام المتقدمين في اكرامك . لكن البضاعة قعدت عن الهمة وقصرت عن مساواة اهل الثروة . وكرهت ان تطوى صحيفة ولا يكون لي فيها ذكر، فوجهت بالمبتدأ به لطيبه ويمنه وبالمختوم به لطهارته ونظافته، مصطبر على ألم التقصير فاما ما ينوي فالمعبر عنى به كتاب الله عز وجل . ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج، اذا نصحوا لله ورسوله. وشبيه بهذا الخبر ما ذكره جعفر بن قدامة عن مية البرمكية قالت كانت لأم علي بنت الرايس جارية مغنية يقال لها مكر وكانت من احسن الناس وجها وغناء وكان لها رفقاء من الكتاب ووجوه التجار، وكان أبو يحي الكنخي يعاشرها، فافتصدت يوماً فاهدى لها رفقاؤها صنوف الهدايا وبعث اليها أبو يحي بثلاث سلال مختومة فاذا سلة فيها (ماس ومعه رقعة فيها الماش (٤) خير من لاشي ) وفي الاخرى عصافير

---

(١) فقير (٢) حمض تغسل به الايدي (٣) عاجلت (٤) صنف من العقاقير

باجنحتهم فلما فتحت طارت ومعها رقعة فيها ياسيدي أعتقت عنك هؤلاء المساكين ولو كان بدلها عبيداً لاعتقتهم، وفتحت الاخرى فاذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها يامولاتي لو كان عندي شيء لبعثت اليك بشيء ولكن ليس عندي شيء فلم ابعث اليك بشيء، فضحكوا وبعثوا اليه بنصيب وافر من كل ماأهدي اليها فكتبت اليه أم علي: أعطي الله عهداً ان لم تكن هديتك املح من كل هدية وردت علينا . وكان اعرابي يأتي ابن عائشة في كل سنة فيصله بعشرة دنانير فجاء ذات مرة فاخبر بأنه مضيق عليه ومدين، فمثل بين يديه وقال قد أخبروني بعذرك وبما عليك من الدين، ووالله ماقصدتك الا وانا على غاية الاضاقة وانت تعطي وانا لاأعطي ثم قال

وقد خبرت ان عليك دينا     فزد في رقم دينك واقض ديني

فضحك ابن عائشة وقال له خذ هذه السجة (١) وهي من الخشب كانت في داره فأخذها الاعرابي وباعها بثمانية دنانير. فالصلة بالقليل ربما تقع موقعها بالجزيل وللرد مصيبة حلت بالسائل والمسؤول. قال رجل كنت أمشي مع سفيان بن عيينة اذ أتاه سائل فسأله فلم يكن معه مايعطيه، فبكى، فقلت ياأبا محمد ما الذي أبكاك، قال أي مصيبة اعظم

(١) تمثال من الخشب

من أن يأمل فيك رجل خيرا فلا يصيبه ونحو قول الشاعر

أليس كبيرا ان تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

وقال آخر

يرى المرء احيانا اذا قل ماله ... من الخير أبوابا فلا يستطيعها

وما ان به بخل ولكن ماله ... يقصر عنها والغنى يضيعها

وما ساد أحد قط ولا سار ذكره بشيء كايثاره على نفسه وقد مدح الله تعالى الانصار فقال و ( يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )

وما ذكر حاتم وكعب بن مامة الايادي الا بايثارهما على انفسهما وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال أجواد العرب ثلاثة حاتم بن عبد الله الطائي وكعب بن مامة الايادي وكلاهما آثر على نفسه وضرب بهما المثل والجواد هرم بن سنان المرى الذي يقول فيه زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على علاته هرم

هو الجواد الذي يعطيك نائله ... عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

وكان مما آثر به حاتم على نفسه انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم يا أبا سفانة اكلني

الاسار والقمل، قال ويلك والله ماأنا ببلاد قومي وقدنوهت باسمي ومالك متركه فساوم العنزيين فاشتراه وخلاه وأقام في قده حتى أتي بفدائه فقال الفرزدق حين صافن (١) عاصما العنبري

فلما تصافنَ الاداوة (٢) اجهشت (٣)
الى غضون العنبري الجراضم
على ساعة لوان في القوم حاتما على جوده ضنت به نفس حاتم

وصحب كعب رجلا من النمر بن قاسط في شهر ناجر فتصافنا ماءهما فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا أصاب كعبا نصيبه قال أسق اخاك النمري، فيؤثره على نفسه ويسقيه حتى اضرّ به العطش واسرع السير حتى رفع له اعلام الماء وقد غلبه العطش، فقيل له رِدْ كعب فلم يقدر على الورود فمات فقال رجل من اياد يبكيه

ماكان من سوقة اسقى على ظمأ خمرا بماء اذاناجودها (٤) بردا
من ابن مامة كعب ثم عي به
زو (٥) المنية الاحرة (٦) وقدا (٧)

---

(١) قاسمه (٢) المطهرة (٣) أسرعت بالبكاء (٤) الخمر وأناؤها (٥) القرينان يقال جاء فلان زوا اذا جاء هو وصاحبه . وكل زوج والواحد منها توا بالتاء (٦) العطش (٧) الطعام

ومما جاء في مدح القليل ما نشدناه ابو احمد عن ابي بكر

وان قليلا يستر الوجه ان يرى الى الناس مبذولا لغير قليل

وقال زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

فلم يخل فقيرا منهم ولا غنيا من بذل وقريب من هذا المعنى ما انشدناه ابو القاسم عن العقدي عن ابى جعفر عن ابن الاعرابى

ولا عزنا يغدو على ظلم غيرنا وليس علينا للظلامة مذهب
نربح تلاد الحلم وسط بيوتنا اذا حلم اقوام من الناس يعزب
ولا الطم ابن العم ان كان اخوتى شهودا واخوان بن عمي غيب
على سفر او مصادفهم منية فاوحد منهم ظهره حين يغضب
على كل حال قد قلتني عشيرتى على الفقر مني والغنى حين اترب
غنيت فلم ابخل على مقتربهم بشيء ولم اكد دهمو حين انكب
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب

وهذا مأخوذ من قول ابى كبير

فاذا وذاك ليس الا حينه واذا مضى شيء كان لم يفعل

واخذه آخر فقال

كأن الغنى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

ولم يك في بؤس اذا بات ليلة    يناغي غزالا فاتر الطرف اكحلا

واذا رضي منك بالقليل فلم يوجد عندك كان الذم بك اليق واللوم بك اعلق وطريق عذرك اضيق وقال آخر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا    اذا كان عند السخط لا يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا    اذا كان عند العسر لا يتكرم

وسال ابن الرومي رجلا قفيزين من حنطة فمنعه فقال

سألت قفيزين من حنطة    فجدت بكرّ من المنع واف

كاني سألتك حب القلو    ب ذاك الذي من وراء الشغاف

وقال اوس بن حجر

منعت قليلا نفعه وحرمتني    يسيرا فهبها بيعة لا تقالها

وانشدنا ابو احمد وغيره لبعضهم يمدح رجلا بقلة المال وكثرة النيل

له نار تشب بكل ارض    اذا النيران جللت القناعا

وما ان كان اكثرهم سواما    ولكن كان ارحبهم ذراعا

وقال اشجع

وليس بأوسعهم في الغنى    ولكن معروفه اوسع

وقال آخر

وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم (١) الرجال وخيرها
فنفسك اكرم عن امور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها
وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكم طامع في حاجة لاينالها وكم آيس منها اتاه بشيرها

اعلم ادام الله عزك ان اليسير تعطيه عفوا وتبذله صفوا من غير مطل يغيض ماءه ويكدر هواءه، يقوم مقام الكثير وينوب مناب الجزيل، لان المنع خير من المطل، ويسير النيل خير من المنع على ما قدمناه قبل وقد قال ابن الرومي

من الحيف تطفيف النوال ومطله فعجل خسيسا او فأجل موفرا
فكن نخلة تلوى وتثني عطاءها والا فكن عفصا اقل وايسرا

واخبرنا ابو احمد عن الصولي عن القاسم بن اسماعيل عن المطوي عن يحيى بن اكثم قال دخلت على المأمون وبين يديه طعام في طبق فدعاني اليه وكان لحما باردا قليلا فخاف ان استقله فقال من الشعر له

إعرض طعامك وابذله لمن دخلا واحلف على من ابى واشكر لمن اكلا

---

(١) الطبيعة والسجية قال حاتم الطائي

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

ولا تكن سابري العرض محتشما      من القليل فلست الدهر محتفلا

وفي الحديث خير الصدقة "جهد المقل الى فقير في السر" وقد علمت ادام الله عزك ان الوصف بكرم النفس وسعة الصدر وسماحة الكف من انفس مايراد واجل مايرتاد ومن رزقه بانالة قليل لايجحف به فقد اوتي الحظ الجسيم ، وسيق اليه المتجر الربيح والشكر القليل ثمن النوال الجزيل ، فاذا رزقت كثير الشكر على قليل النيل فاعلم بانك مسعود وانشد ابو تمام في قريب من هذا المعنى

ومستنبح قال الصدى مثل قوله      حضأت له نارالها حطب جزل

( حضأت النار فحضأت أي ألهبتها فالتهبت وقال ابن دريد حضوت بغير همز بمعنى حضأت وقال غيره ويقال حضي الرجل يحضى اذا حرص وشره )

وقمت اليه مسرعا فغنمته      مخافة قوم أن يفوزوا به قبل

فأوسعني حمداوأوسعته قرى      وأرخص بحمد كان كاسبه الاكل

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي معاذ خلف ابن احمد المؤدب عن المازني عن ابي عبيدة قال كان بالبصرة رجل من موالي بني سعد يقال له نبيت وكان صاحب صلاة بالليل ، وكان الاعراب ينزلون عليه ، فنزل عليه قوم ولم يعشهم ، وقام يصلي الى الصباح ، فقال

رجل منهم

خبز نبيت وعليه لحم ... أحب الي من صوت القرآن

تبيت تدهده القرآن حولي ... كأنك عند رأسي عقربان

فلو أطعمتني خبزا ولحما ... حمدتك والطعام له مكان (١)

فذكران للطعام مكانا على قلته ونذارة قيمته وليس السخاء بالكثير بأحمد من السخاء بالقليل اذا وافق الحاجة. وقد قيل خير السخاء ما وافق الحاجة ولم يشترط فيه الكثرة والقلة وقيل

واغبط من ليلي بما لا أنا له ... وقلة ما قرت به العين صالح

وأخبرنا أبو القاسم بن شيران عن عبد الرحمن بن جعفر عن الغلابي عن عيسى بن يزيد عن موسى ابن عقبة عن مقسم مولى ابن عباس وعن الغلابي عن مطرّف عن ابن دارة وعن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن معاوية والهيثم بن عدي عن الحسن قالوا وفد عبيد الله بن العباس على معاوية فلما كان ببعض الطريق اصابته السماء فأم أبياتا من الشعر واذا اعرابي قد قام اليه فلما رآى هيئته وبهاءه وكان من أحسن الناس شارة وأحسنهم هيئة قال الاعرابي لامرأته ان كان هذا من قريش فهو من بني هاشم وان كان

(١) اقواء

من اليمن فهو من بني آكل المرار فانزله وذلك في الليل فقام الاعرابي الى عنيزة له يذبحها فجاذبته امرأته وقالت أكل الدهر مالك وشربه ولم يبق لك ولبناتك الا هذه العنيزة تضع درة كمخة عرقوب ثم تريد ان تفجعهن بها، قال والله لأذبحنها فقالت والله اذاً لا يتركك بناتك قال والله لا الموت خير من اللؤم قال وعبيد الله يسمع

قرينة لا توقظي بنيه　　أن توقظيها تنتحب عليه
وتنزع الشفرة من يديه　　أبغض بهذا وبها اليه

ثم ذبح الشاة وأضرم النار وجعل يقطع من أطايبها ويلقيه على النار ثم قربه الى عبيد الله بن العباس ومن معه فجعل عبد الله يأكل ويحدثه في خلال ذلك بما يلهيه ويضحكه حتى اذا أصبح وانجلت السحابة وهم بالرحيل قال لمقسم: كم معك من نفقتك قال خمسمائة دينار قال القها الى الشيخ قال ما تريد الا ان تسأل الناس في طريقك ان هذا يرضيه عشر ما سميت وتأتي معاوية ولا تدري علام توافقه؟ قال ويحك انا نزلنا على هذا وما يملك الا هذه الشاة فخرج لنا من دنياه كلها ونحن نعطيه بعض ما نملكه فهو أجود منا، قال فألقاها اليه وارتحل، فأتى معاوية فقضى حوائجه فلما انصرف قال لمقسم: انظر ما حال صاحبنا فعدل اليه فاذا ابل وشاء وحال حسنة، فلما بصر الاعرابي

بعبيد الله اكب على اطرافه يقبلها ثم قال بأبي أنت وأمي قد مدحتك ولا أدري والله من أي خلق الله انت وانشده

توسمته لما رأيت مهابة    عليه وقلت المرء من آل هاشم
والا فمن آل المرار فانهم    ملوك وابناء الملوك الاكارم

قال الشيخ أبو هلال ثم ذكر أبياتا رديئة اللفظ والوصف أظنها من عمل ابن داب فانه كان عمولا لامثالها فيما يرويه من الاحاديث فقال عبيد الله أصبت أنا من ولد هاشم وقد ولدني آكل المرار فبلغ معاوية ذلك فقال لله در عبيد الله من أي بيضة خرج وفي أي عش درج هذه والله من فعال عبيد الله معلم الجود وهو والله كما قال الحطيئة

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا    وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها    وان أنعموا لا كدروها ولا كدروا

وقال بعض الحكماء . ذلل أخلاقك للمحاسن وقدها للمحامد وعلمها المكارم وعودها الجميل والايثار على النفس فيما تحمد غبه ولا تداق (١) الناس وزنا بوزن وتكرم بالغنى عن الاستقصاء وعظم قدرك بالتغافل عن دنيء الامور وامسك رمق

(١) تعارض الناس فى الدقة

الضعيف بالمونة له وصل من رغب اليك بجاهك ان عجزت عما رجاه عندك ، ولا تكن بحاثا عما غاب عنك فيكثر عناؤك ، وتحفظ من الكذب فانه أسقط الاخلاق للاقدار ، وهو نوع من الفحش ، وضرب من الدناءة ، وأصله من استعداد المتمنى ، وهو اضغاث فكر الحمقى ، فاذا استحكم في الضمير بتسويل النفس الضعيفة جاشت فغلا على اللسان كما يفور الماء في الاناء ، اذا احتدمت تحته النار . واعلم ان أغلب شيء على صاحبه وأشده تمكنا منه وأحرى ان لا ينزع منه بحيلة وذلك لضراوته (١) وطول صحبة العادة له . وقيل لبعض الحكماء ما الشح قال ان ترى اعطاء القليل سرفا والانفاق في الحق تلفا . ومما يرغب في الاحسان قول بعض الحكماء لاصحابه : إعلموا ان كل يوم يمر بكم يحمل ما يثبت فيه من حسن وقبيح ثم يمضي فلا يعود فان قدرتم ان تخطوا في كل يوم مكرمة وتثبتوا فيه حسنة تبتهجوا بذكره ولو بعد حين ، فلا تؤخروا ذلك فتغبنوا حظكم من يومكم فان الايام صحائف تخلدوا فيها الجميل ، وقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد وأفعال الكرام في قديم الدهر وأول الزمان ، ثم لم يدرس ذلك مع ذهاب القرون ولا ينسى على

(١) الملازمته

حال وما حوت من العار لا يمحوه الآخر عن الاول . وقال بعض الحكماء باجالة الفكر يستدرك الرأي المصيب وبحسن التأني تسهل المطالب وبلين كنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس ، وبسعة خلق المرأ يطيب عيشه ، وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجب الجلالة ، وبالنصفة يكثر الواصلون ، وبالافضال تعظم الاقدار ، وبالتواضع تتم النعمة ، وبصالح الاخلاق تذكو الاعمال ، وباحتمال المؤن يجب السؤدد ، وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ ، وبالحلم عن السفيه تكثر انصارك عليه ، وبالرفق والتودد تستفيد محبة القلوب ، وبحسن اللقاء يألفك الثناء الجميل ، وبايثارك على نفسك تستحق اسم الكرم ، وبالصدق والوفاء تكون للناس رضى ، وبنفي العجب تأمن مقت أولي الالباب وبترك مالا يعنيك من الامر يتم لك الفضل ، ومن رضي للناس بالمسامحة دام استمتاعه بهم . ومما يجري مع ذلك وان لم يكن منه قول بعض الحكماء ما أخلق الاعراض ولا أذل الاقدار مثل نيل ممتن به ، واستطالة منعم بفضله ، ولفقد السعة مع تزهد النفس أغنى من امتهان عرضك ، لمن يستكثر قليل نيله لك ، ويستقل مابذلت له من شكرك ، ونحوه كاف المعروف وان جل وأشكره وان قل ، واذا اصابتك شدة فاذكر ان مابعدها أشد منها

وافظع فان ذلك يهون عليك شدة بلائها ، ويتحمل عنك ثقل أعبائها .
قال الشيخ أبو هلال وقد علمنا ان المرء وان ملك الدنيا بحذافيرها لم ينتفع منها الا بقدر الحاجة ولا وجه لتسخطه القليل وهو حظه وتطلعه الى الكثير وهو فضل . فمن جيد ماروي في فضل الاعطاء على العسر ان رجلا دخل على المنصور فقربه ثم أمر باعطائه عشرة آلاف درهم فحملت معه وخطى خطوات منصرفا فرده وأمر له بمثلها فقبضها وخطى خطوات موليا فرده وأمر له بمثل هذا أيضاً ، فلما انصرف قال: لقد أراني وأنا هارب من بني أمية وقد نادى مناديهم ببراءة الذمة ممن وجد منا في بلادهم ، فاردت الخروج من الكوفة في الهاجرة فدفعت الى هذا الرجل وهو يحذو النعال فقال لي لعلك من هذه الفرقة المهجورة قلت نعم ، فدفع الي شق درهم كان معه ولما وليت ردني وأعطاني أرغفة كان اعدها لعشائه ولما انصرفت ردني ودفع الي زوجي نعال كانتا له وكنت حافيا ، فوقع مني موقعا محمودا ، فانصرفت ولقيته اليوم ففعلت مافعلت على علم مني انه كان في قليل ماأعطانيه اجود مني في كثير ماأعطيته . ومما يجري مع ذلك وان لم يكن منه قول بعض الحكماء المقل السخي غني بجميل الذكر والبخيل المكثر فقير بسوء الذكر ، وخمول الذكر احمد من الذكر الذميم .

ومما يجري مع ذلك ما اخبرنا به ابو احمد عن ابي بكر عن ابي حاتم قال حضرت بعض ولاة البصرة ولم يسمه وكان جبارا فسمعت رجلا يقول في مجلسه: الاتباع يؤنسهم البشر، ويوحشهم الازورار، ويلمهم لين الجانب، ويفرقهم عنف المعاشرة، وازدحام الآمال لديك نعمة من الله عليك، فقابل النعمة بحسن المجاورة تستدم واردها، وتستدع نافرها، قال فما زلت اعرف موقع هذا الكلام من ذلك الوالي حتى افترقنا، واذا كان البشر اصلحك الله يصلح لتألف القلوب، فالنيل وان كان قليلا اصلح له، فليس ينبغي ان يستحي احد من بذله ولا يستصغر احد اخذه، فان قليل النفع كثير اذا قيس بفقده، واذا عرفت المنفعة في تفاريق المصامع قلتها، ونذارة قيمتها، علمت ان نزر المنافع جزل في بعض المواضع، وقد علمت ان حاتما وكعبا وهرما لم يجعلوا امثالا في الجود لعظم عطيانهم في القدر، لان الواحد منهم انما كان يقري ضيفا، أو يهب بعيرا، أو عدداً من الشاء قليلا، ولكن ذهب صيتهم في السماح وبعد ذكرهم في الجود لانهم كانوا يعطون وهم محتاجون، وينيلون وهم مختلون، وقد عرفت ان كعبا انما رزق هذا الاسم الكبير في الجود بما آثر صاحبه

ورزقه حاتم بانهابه ماله ولم يكن بالعكر (١) الدثر (٢) ولكن قصدا أو قليلا نزرا وان هرما انما اعطى زهيرا رواحل وثيابا تقل قيمتها ولا يعظم مقدارها ، وكان عطاء الرشيد والبرامكة والمأمون والامين في اليوم الواحد اكثر من جميع ما اعطاه أولئك في جميع ايامهم ولم يضرب بواحد من هؤلاء المثل كما ضرب بأولئك ، فهذا يدل على ان الناس انما استحسنوا منهم بذلهم مع ضيق احوالهم ، وقلة ذات ايديهم ، فجعلوهم امثالا مضروبه لكل من استغربوا فعله واستبدعوا صنيعه . وفي اخبار حاتم ان جارية جاءته في ليلة شاتية فقالت جئتك يا ابا سفانة من عند صبيه لهم ضغاء (٣) من الجوع فقال والله لاشبعنهم . فتعجبت امرأته من قوله لعلمها انه لا شيء عنده فقام الى فرسه فذبحها واوقد فجعل يكبب لها اللحم حتى اكتفت واكتفى اولادها ثم قسم بقيته ولم يذخر لعياله شيئاً فبمثل هذا كان يبعد ذكر جوده ومبلغ ما يجود به قصدا . واعطى غيره الكثير واعطي من الذكر القليل . ولقد حدّث محمد بن صالح بن داوود قال ركبنا مع عمي يعقوب بن داوود الى يحيى بن خالد بن برمك قال فكلمه في

---

(١) محركة مافوق خمسمائة من الابل وقيل الستون منها وقيل ما بين الخمسين الى المائة (٢) المال الكثير (٣) الصياح

حوائج للناس تبلغ ثلاثة آلاف درهم فقضاها كلها، ثم قال له قد رأيت قلة وفاء الناس لك على كثرة معروفك عندهم، فلو سألت لنفسك، فأبى ان يسأل الا لهم، وسأله ان يسكنه مكة ففعل، واجرى عليه في كل سنة خمسمائة الف درهم سوى ما حمله اليه من الطعام من مصر. واخبرنا ابو احمد عن الصولي عن القاسم بن خلاد قال حدثني محمد بن عمرو قال خرج كوثر خادم الامين محمد ليرى الحرب فاصابته رجمة في وجهه، فجلس يبكي فوجه محمد من جاء به وجعل يمسح الدمع عن وجهه ثم قال

ضربوا قرة عيني ولاجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي من اناس أحرقوه

وأراد من الزيادة عليها فلم يواته طبعه فقال للفضل بن الربيع من ههنا من الشعراء قال الشاعر عبد الله بن أيوب التميمي فقال علي به فلما دخل أنشده البيتين وقال قل عليهما فقال

ما لمن أهوى شبيه فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن هجره مر كريه
من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القائم بالملك أخوه

فقال محمد هذا والله خير مما أردت . بحياتي عليك يا عباسي إلا نظرت فان كان جاء على الظهر ملأت احمال ظهره دراهم وان جاء في زورق ملأته له فأوقر له ثلاثة أبغل دراهم وغناه ليلة ابراهيم بن المهدي

يا أمين الله عش أبدا　　دم على الايام والزمن

انت تبقى والفناء لنا　　فاذا افنيتنا فكن

فقام من مجلسه وأكب عليه وقبل رأسه فقام ابراهيم فقبل أسفل رجليه وما وطئتا عليه من البساط فأمر له بثلاثة آلاف دينار فقال ابراهيم: ياسيدي قد أجزتني الى هذه الغاية بعشرين الف الف درهم قال وهل هي الا خراج بعض الكور (١) وقال يوما لبعض غلمانه ويحك اما تغسل ثيابك قم وخذ ثلاثين بدرة واغسل بها ثيابك فذهب وقبضها ورأى رجل ليحيى بن خالد رؤيا أيام الهادي فأخبره فخاف يحيى ان يكون دس عليه فانتهره وتوعده فلما استخلف الرشيد دخل اليه وكتب الى بعض العمال فدفع اليه خمسمائة الف درهم وسأل يحيى مؤدب ابنه ابراهيم عن حاله فقال:

(١) بالضم المدينة والصقع وفى المفردات وقيل لكل مصر كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال . الجمع كور

تعلم كذا وحفظ كذا واتخـذ له من الضياع كذا، قال لم أسألك عن هذا فقال عمّ يسأل الوزير، قال أتخذت له منتاً في اعناق الرجال، قال لا، قال بئس الخايط أنت، فأمر بحمل خمسمائة الف درهم اليـه ليفرقها عنه في الناس، قال فوالله لقد فرقنافي أقوام ماندري من هم وكان محمد بن خالد بن برمك ما يستام عليه سائم الا قبله . ونهى وكلاءه عن المكاس، وكان الجدي يشتري له بالف درهم وباقة الريحان بخمسمائة درهم، وكان الفضـل بن يحيي أمر بأن تحمل صرر الدنانير فتلقى في عتب أبواب جيرانه بالليل فاذا أصبحوا وجدوها فربمـا بلغ ذلك في الليلة الواحـدة مائة الف وكان اذا جاء الشتاء تصدق بجميع ما في خزائنه من كسوة الصيف واذ جاء الصيف تصدق بجميع مافيها من كسوة الشتاء وما روى مثل هـذا الجود عن أحد في أول ولا آخر فقال فيه أبو قابوس الخيري

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة ففضـله والله بالناس أعلم
له يوم بؤس فيـه للناس أبوس ويوم نعيم فيـه للناس أنعم

وقال أبو البصير

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والرمح والسيف ذو النصل
وتنبسط الآمال فيـه لفضله ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال آخر

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة　　رأيت بها عشب السماحة ينبت

ووجه المأمون الى طاهر بن الحسين بمائة الف دينار فصادفه الرسول وهو راكب فثنى رجله على ظهر فرسه فقسمها وسار ولم يبق منها دينار واحد، وأخبرنا أبو القاسم بن شيران عن عبد الرحمن بن جعفر عن الغلابي عن ابراهيم عن الاصمعي قال لما ولدت ابنة جعفر محمدا قال مروان بن أبي حفصة

لله درك يا عقيلة جعفر　　ماذا ولدت من الندى والسؤدد

ان الخلافة قد تبين نورها　　للناظرين على جبين محمد

اني لاعلم انه لخليفة　　ان بيعة عقدت وان لم تعقد

فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار، وأمرت زبيدة ان يحشى فوه جوهرا فكان قيمة الجوهر عشرة آلاف دينار، وأخبرنا أبو القاسم عن عبد الرحمن عن الغلابي عن سعيد بن محمد الخراساني قال دخل ابن أبي المخيس على المهدى وكان اعرابيا بدويا فانشأ يقول

خليفة الله المصفى بالكرم　　ياخير من طبق نعلا بقدم

فدتك نفسي من معاريض السقم　　عذت بقبر الهاشمي بالحرم

وعذت بالمهدي من دين جثم ... بقبر عبدالله ذي الانف الاشم
فجلّ عني غمة من الغمم ... عليّ حتى سل جسمي فانهدم

فقال المهدي نعم ملاء جلدك يا ابن أبي المخيس، حاجتك، قال دَيني، قال فكم هو، قال خمسة آلاف درهم فقال يا غلام، اعطه اياها، فلما رأى انه قد أمر له بها التفت اليه وقال: بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا جعلتها دنانير قال اجعلوها دنانير. وأخبرنا أبو القاسم عن عبدالرحمن عن الغلابي عن الزبير قال استنشد المهدي جدي عبد الله بن مصعب نسيباً حلوا فانشده قول الاحوص

حور العيون نواعم زهر ... خمس دسسن الى في لطف (١)
نام الرقيب وحلق النسر ... فطرقتهن مع الرسول وقد
عضبا يلوح بمتنه أثر ... مستبطنا للحي ان فزعوا
حتى استفقن وقد اضا الفجر ... فمكثن ليلتهن ناعمة
غض الشباب رداؤه غمر ... باشم معسول مزاجته
تمشي التأود غادة بكر ... قامت تخامر لكلتها (٢)

---

(١) محركة الاسم من اللطف بكذا اذا بره به ومن طرف التحف
(٢) الكلة الستر الرقيق غشاء رقيق يتوقى به من البعوض ويعرف عند العامة بالناموسية او صوفة حمراء في رأس الهودج

وتراجعا من دون نسوتها كلما تسر كأنها سحر
كل يرى ان الشباب له في كل غاية صبوة عذر
حتى اذا ابدت مودتها وبدا هواها ماله ستر
سفرت وما سفرت لمعرفة وجها اغر كأنه البدر

وانشده لصخر بن الجعد

واشمتها الاعداء حين تألبوا حوالَيّ واشتدت علي ضغونُها
فان تصرمي وكلت عيني بالبكا واشمت أعدائي فقرت عيونها
فان حراما أن أخونك مادعا مع الليل قمري الحمام وجونها (١)
وما طرد الليل النهار وما بكت على شجر ورقاء شاج (٢) رنينها
وقد أيقنت نفسي بأنه حبل بينها وبينك لو يأتي بيأس يقينها
أبت لي أن تستبل (٣) يوما وان ترى
سلوا ولا مجلود (٤) صبر يعينها

فأعطاه سبعة آلاف دينار. واخبرنا أبو القاسم بن شيران عن عبد الرحمن بن جعفر عن الغلابي عن جعفر بن احمد النوفلي عن

---

(١) جمع جوني وهو ضرب من القطا سود البطون والاجنحة وهو أكبر من الكدري (٢) من الشجو (٣) أي تبرىء أو تشفى (٤) القوة من الجلد والصبر

محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال: كان بالبصرة فتى من بني تميم وكان شاعراً ظريفاً فاستشارني في مدح المأمون وقصده فلم أشر عليه به لقلة رغبة المأمون كانت في الشعر، فقال ربما زهد الرجل في الشيء ثم أقبل عليه، فخرج والمأمون « بسفلوس »، قال فخرجت بسحر نحو العسكر فلقيت رجلاً على بغل أسود ما رأيت مثله، فسألني عن مقدمي، فذكرت له اني قصدت المأمون بشعر خفيف حلو فاستنشدنيه، فقلت انما قصدت الخليفة، فقال انشدنيه فان كان على ما تصف لاصلنك ولأحملنك على بغلي هذا فأنشدته

مأمون ياذا المنن الشريفة    وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتيبة الكثيفة    هل لك في أرجوزة ظريفة
اظرف من فقه أبي حنيفة    لا والذي أنت له خليفة
ما ظلمت في أرضنا ضعيفة    أميرنا مؤنته خفيفة
مايجتبي شيئاً سوى الوظيفة    والذئب والنعجة في سقيفه
واللص والتاجر في قطيفة

قال فضحك واستطاب الشعر وأومأ الى واحد من غلمانه فجاء يركض فقال كم معك؟ قال ثلاثة آلاف دينار، قال أبذلها الى السعدي ثم قال: وفينا لك، قلت والله ماهذا وفاء هـذا عطاء البحر اذا زخر وضرب

كفل بغله وانصرف

فهؤلاء أيدك الله اعطوا هذا الكثير ولم يحظوا من الذكر بما حظى به معطي القليل فليس ينبغي ان يستحي من اعطاء ما كسب مثله الذكر الباقي في الاعقاب المستغرق لمدى الاحقاب الذي لا تقدح فيه الازمان ولا تتحيفه صروف الحدثان وانشدنا أبو احمد عن ابي بكر

وكنت اذا دعيت الى طعام — اجبت ولم يكن مني توان
ظللنا من بشاشتنا كانا — بيوم ليس من هذا الزمان

فذكر انه اذا دعى الى طعام لم يكد في تحصيله سر سرورا وبش بشاشة ليس له بمثلها عهد في زمانه . وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال : كنا نعد المقرض بخيلا انما كانت مواساة ومما هو داخل فيما نحن فيه قول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان صدقة أحدكم يقبلها الله ويربيها كما يربي أحدكم فلوه وفصيله حتى اللقمة تصير مثل أحد . وقالت بعض النساء يارسول الله انه يأتيني السائل فأتزهد له بعض ماعندي فقال ضعي في يد المسكين ولو ظلفا محرقا . وقال عبد الله بن مسعود كان راهب عبد الله ستين سنة فنزلت به امرأة فواقعها ست ليال ثم ندم فهرب فأتى مسجدا فمكث ثلاثا لايطعم فأتى برغيف فاعطى نصفه رجلا عن يمينه ونصفه رجلا عن

يساره ثم قبضه الله، فوضع عمل ستين سنة في كفة ووضعت السيئة في كفة فرجحت، فجيء بالرغيف فرجح بالسيئة. وكان عند عائشة طبق عنب فجاء سائل فدفعت اليه حبة واحدة منه فضحك نساء كن عندها، فقالت انما فيما ترين مثاقيل ذر كثيرة أرادت قول الله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ». وسأل رجل ابن عبيد الله بن زياد فأعطاه درهما فقال أصلح الله الامير صاحب العراق وخليفة أمير المؤمنين يعطى درهما فقال نعم ان من بيده خزائن السموات والارض ربما رزق أخص عباده وأقربهم منه وسيلة اللقمة والتمرة فما يكبر عندي ان أصل رجلا من اخواني بمائة ألف درهم ولا يصغر عندي ان اطعم سائلا رغيفا اذا كان الجواد الكريم أرحم الراحمين يفعل ذلك، ومثل هذا الخبر خبر المنصور مع « سلم الحادي » وقد ذكرناه في كتاب الدينار والدرهم ونورده هنا لمجانسته ماقبله وهو الذي أخبرناه أبو احمد عن عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن بن الفضل عن ابراهيم بن السندي بن شاهك عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال حدا « سلم الحادي » بين يدي أبي جعفر بطريق مكة وهو حاج

أغر بين حاجبيه نوره　　　اذا تغدى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره فتى قليل في الورى نظيره
يضحك من بهائه سريره ومسكه يشوبه كافوره
اودى الصبا ونفدت زهوره

والقلب قد الهبه سعيره
والحب داء هالك أسيره لاشيء يردي الهم أو يثيره
الا رواح الصب أو بكوره

فوق خدب (١) جائل ضفوره (٢)

قال فاستحسن أبو جعفر الابيات وضرب برجله وقال ياربيع اعطه نصف درهم فقال يا أمير المؤمنين نصف درهم لقد حدوت بها بين يدي هشام فأمر لي بمائة الف درهم، فقال مائة الف درهم من مال الله ما كان له ان يعطيكها وما كان لك ان تأخذها، يا ربيع استخرجها منه، قال يا أمير المؤمنين قد والله وصلت بها القرابة وحملت بها الكل، وانفقتها على الولد وما بقي منها شيء، قال فما زلت أسفر بينه وبينه حتى ضمن أن يحدو به ذاهبا وجائيا ولا تلزمه مؤونة فقلب بعض الشعراء هذا المعنى فقال

كويتب يرفعه تصغيره كأنما تصغيره تكبيره

---

(١) الضخم من المطايا (٢) كل خصلة مما ضفر على حدتها

لم يز في سقوطه نظيره　　الكلب من اخلاقه يعيره
والقرد يحكيه ويستعيره　　اقبح من ظاهره ضميره
اذا تغدى اطبقت ستوره　　وسمرت ابوابه ودوره
وحرست حيطانه وسوره　　والديدبان فوقها ناطوره
وقام عند ستره نذيره　　لا يقرب الباب ولا يطوره
خلق من الناس ولا يزوره　　الا شقي غره غروره
فان دنى احرقه سعيره　　وكسرت ساقاه لا يجيره
خلق ولا يرجى له جبوره　　حتى اذا استوفى وطم بيره
ثم علا من كظة زفيره　　واحصنت من بعدها قدوره
واثبتت من خبزه كسوره　　وحصلت فضلاته وسوره
ودار في الدار بها وزيره　　وصار في ديوانه تزفيره

عاد اليه عائدا سروره

قال وسمعت اصحابنا يتحدثون ان رجلا حمل لرجل حملا وبلغ به غاية بعيدة فأعطاه (قيراطا) فاستحقره واستزاده فقال اتسحقره وانك لو اشتريت به رغيفا فا كلته دفعت به يومك وكسبت عليه اضعافه، أو قربة ماء كفاك في شربك وطهورك يومين، أو باقة بقل زينت بها مائدتك وطبت في أكلك

أو ملحاً أجزأك في طبخك وغيره أياما أو أشنانا كفاك في تطييب يدك مدة أو دخلت به الحمام نقيت جسدك أو ابتعت به الصابون نظفت به ثوبك أو احتجت الى عبور نهر كان مقنعا للملاحك الى غير ذلك من المنافع . لقد صغرت عظيما واستحقرت جسيما فانطلق الرجل به ولم يماكسه . وقريب من ذلك ان رجلا قال لرجل ادفع لي درهما قال اتصغره انه عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر ذينك . وذكر ان بعض الهاشميين زار محمد بن بشير فاحضره خبزاً قد اتت عليه أيام وتمرات فقال الهاشمي هذا جود الاذواء يريد انه من اليمن فقال محمد

لقل عارا اذا ضيف تضيفني ... ماكان عندي اذا اعطيت مجهودي
جود المقل اذا أعطاك نائله ... ومكثر في الغنى سيان في الجود

وقال غيره

أقل وأثرى كل ذاك يسرني ... وللدهر والانسان حال تقلب
ويلزمني حق فلا أستطيعه ... ولا ينفع الراجين أهل ومرحب
وما ابطل الاعدام حقا لراغب ... ولكنه في حالة اليسر أوجب

ومثل هذا أيدك الله كثير وفيما سقته اليك كفاية لك ان شاء الله تعالى

تم والحمد لله وصلى الله على محمد نبيه
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
طيبا كثيرا مباركا

عليه